بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.. أمَّا بعدُ..

قولُ خليل الرَّحمٰن إبراهيم عليه السلام في سياق دعوته لقومه إلىٰ توحيد الله -جلَّ وعلا- وإخلاص الدِّين له وبيانِه لبطلان الشِّرك وفساده ذاكرًا في هٰذا المقام حُججًا متنوِّعاتٍ وآيات بيِّناتٍ وبراهين واضحاتٍ علىٰ وجوب إخلاص الدِّين لربِّ الأرض والسَّمٰوات.

فذكر عليه السلام في جملة ما ذكر من آيات، قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾.

فمن البراهين الدالّة علىٰ بطلان عبادة الأوثان أنَّها لا تملك رزقا لعابديها؛ بل لا تملك ذلك لنفسها فضلًا أن تملكه لغيرها، فهي لا تملك لنفسها موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا أن تملك شيئًا من ذلك لغيرها، فهي مخلوقاتٌ عاجزة وناقصة، وليس بيدها شيءٌ؛ بل حقيقةُ أمرها أنَّها حجرٌ كسائر الأحجار، أو شجرةٌ كسائر الأشجار، عظَّم المشركون أمرَها فعبدُوها وسألُوها وأنزلوا بها حاجاتهم وطلباتهم.

فممَّا تُبطل به هٰذه العبادة ويُنقضُ به هٰذا التعلُّق الباطل هٰذا القول العظيم من خليل الرَّحمٰن عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ أي ليس بيدها شيئا من ذلك ولا تملك شيئا من ذلك، فالرِّزق كلُّه بيد الله، واللهُ ﷻ وحده هو الرَّزاق.

ولهٰذا فالله -جلَّ شأنه- ذكر هٰذا البرهان نفسه في السِّياق نفسِه لمَّا بيَّن ﷻ في سورة الذَّاريات أنَّه إنَّما خلق الإنس والجنَّ لعبادته قال: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ أي أنَّ العبادة إنَّما تُصرَف لمن بيده الرِّزق، تُصرف للرَّزاق جلَّ شأنه، لا تصرف للمرزوق.

ومن لطيف ما مرَّ علي في هٰذا الباب وطريفه ومفيده أنَّ أحد العوام قال له أحد الضُّلّال المبتلَيْن بالتعلُّق بالقبور وعبادة

المَقبورين، قال له: أليس اللهُ يقول عن الشُّهداء: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾[آل عمران]، قال: أليسوا هم أحياء! إذن لماذا لا نسألهم؟! هكذا يقول المضلِّل، فقال ذلك العامِّي بفطرته: إنَّ الله ﷻ قال: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ ولم يقل: يَرزقون، فأنا أعبدُ الذي يرزقهم. وهو عامِّي، فأنا أعبد الذي يرزقهم، فاستدل بالحُجّة نفسها، فالذي يرزق وبيده الرِّزق، هو وحده الذي يدعىٰ، أمَّا العبد المرزوق الفقير المحتاج، الذي لا ملك لنفسه رزقا، كيف يعبد! كيف يسأل! كيف يدعىٰ! كيف تُعرض الحاجة عليه! فضلًا أن يملك شيئًا من ذلك لغيره.

والرَّزاق المعبود ﷻ في السَّماء علىٰ خلقه وبيده -تبارك وتعالىٰ- مقاليد السَّمٰوات والأرض، «**ويمينه جلَّ وعلا ملأىٰ لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار**»، عطاؤه جل شأنه كلام ومنعه كلام، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[يس]، هٰذا الذي ينبغي أن تُصرف له وحده العبادة، وأنْ لا يُجعل معه شريك في شيءٍ من ذلك؛ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ والرَّزَّاق جلَّ شأنه في السَّماء، وهو الذي يرزق من يشاء ويعطي من يشاء، والأمر كله بيده تبارك وتعالىٰ.

والرَّزَّاق كما مر معنا اسم من أسمائه سبحانه، ويدلُّ علىٰ ثبوت صفة الرَّزق له ﷻ بفتح الراء؛ لأنَّ الرَّزق بفتحها هو الفعل؛ الصِّفة، وبالكسر الرِّزق أثر الصِّفة.

فالله ﷻ هو الرزاق؛ أيّ المتَّصف بالرَّزق ﷻ، ورزقه لعباده نوعان:

رزقٌ عام يشمل جميع المخلوقات برَّها وفاجرها مؤمنها وكافرها، صالحها وطالحها، وهو الرّزق بالصِّحة والمال واللباس والمسكن والعافية وغير ذلك، والله يقول: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾[الإسراء].

والنوع الثاني: رزق القلوب بالهداية للإيمان، والصَّلاح والاستقامة، وانشراح الصَّدر لهٰذا الدين، وحسن الإقبال علىٰ الله ﷻ ربِّ العالمين، فهٰذا رزق خاص يهَبُه ﷻ لمن شاء الله هدايته، وكتَبَ جلَّ شأنه شأنه صلاحه واستقامته.

ثم -أيُّها الإخوة الكرام- إذا آمن العبد بأنَّ الرَّزَّاق هو الله، وأنَّ الرِّزق بيده احتاج في هٰذا المقام إلىٰ أمرين:

الأوّل منهما: أن يبتغي الرِّزق عند الله لا عند غيره، فلا يسأل إلَّا الله، ولا يرجو إلَّا الله، ولا يطمع في حصول خيراته وبركاته ونِعمه إلَّا من الله ﷻ ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ فيُخلص طلبه للرِّزق لله ﷻ؛ فلا يسأل إلَّا الله، ولا يرجو إلَّا الله، ولا يطمع في نوالٍ وعطاء إلَّا من الله ﷻ، ولا يلتفت بقلبه إلىٰ غيره؛ بل يفوِّض أمره إليه ويتوكَّل في حاجاته إليه، وقد كان نبيُّنا ﷺ يقول كل يوم إذا أصبح بعد صلاة الصُّبح: «**اللّٰهمَّ إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيِّبًا، وعملًا متقبَّلًا**» ويسأل اللهَ كل يوم في باكورة يومه أن يرزقه الرِّزق الطيِّب.

والأمر الثاني: أن يبذل السَّبب؛ مع الاستعانة والدعاء والسؤال والطلب يبذل السَّبب، والرزاق ﷻ أمرنا ببذل الأسباب فقال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾[الملك]، فالإنسان لا يبقىٰ في مكانه ولا يعطل الأسباب التي أمر الله ﷻ باتِّخاذها وفِعْلها؛ بل يبذل السَّبب ولا يكتفي بالدُّعاء والتوكُّل مع تعطيل الأسباب، لأنّ هٰذا تواكل وليس بتوكُّل، فإنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأىٰ قومًا خرجوا من ديارهم بلا زاد وقالوا: نحن المتوكلون فقالَ: هؤلاء المتواكلون أو المتأكِّلون. قال: المتوكل الذي يضع البذر ويتوكَّل علىٰ الله، عنده أرض فيضع البذور ويتوكَّل علىٰ الله، أمَّا من لا يضع بذورا ولا يعمل ولا يبذل سببًا، فهٰذا ليس توكُّلًا إنَّما هو تواكل، ولهٰذا قال رسول الله ﷺ: «**لو توكَّلتم علىٰ الله حقَّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطَّير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»، «تغدو» هٰذا بذل للسَّبب، الطير لا تجلس في عشها تنتظر الحب يأتي فيه، ولا تجلس في عشها تنتظر الماء يأتي فيه؛ بل إذا أصبحت طارت إلىٰ الأماكن المختلفة والبعيدة تطلب الرِّزق، فتحصِّل خيرًا وترجع، «**تذهب خماصًا وتغدو بطانًا**» فلمَّا قال: «**لرزقكم كما يرزق الطَّير**»، ورزقه للطَّير ببذل سببٍ من الطَّير، فلابد من بذل السَّبب، ولهٰذا بعض النَّاس تكون الطُّيور خيرٌ منه، خاصة الذين ابتلوا بعقائد الطُّرقية الذين يعطِّلُون الأسباب فلا يعمل ليكسب مالًا ويحصِّل مالًا لا لنفسه ولا لأهله، ويقول وهو في مكانه: إنْ كتب الله لي رزقًا يأتيني في مكاني، ولا

يعمل ولا يبذل سببا، ويصبح عالةً علىٰ الآخرين، ينتظر صدقات أو عطفًا عليه أو إحسانًا عليه أو علىٰ أهله وأولاده، ويبقىٰ هكذا معطَّلًا.

بينما الإنسان إذا علم بهذين الأمرين اللَّذين يقتضيهما هٰذا الإيمان بأنَّ الله هو الرَّزاق، وهما:

الالتجاء التَّام إليه وحده إيمانًا وثقةً بالله وتفويضًا إلىٰ الله وتوكُّلا عليه ﷻ.

ثم بذلًا للسبب. وقد قال ﷺ: «**ومن يتوقَّ الشَّرَّ يوقَه ومن يتحرَّ الخير يُعطه**»، الذي يتحرَّىٰ ويبذل السَّبب يجدّ ويجتهد يحصِّل خيرًا كثيرًا.

وكثيرٌ من النَّاس الذين حصَّلوا أموالًا كبيرةً كانت بداياتهم من الصِّفر، أعرفُ رجلًا الآن عمْرُه يتجاوز الخمسين سنة بقليل ذكر أنَّه في بداية حياته كان يصبُّ البنزين عاملًا في إحدىٰ المحطات، وتدرج في الرِّزق واكتساب الرِّزق ولم يتجاوز الخمسين سنة إلا وهو من كبار الأثرياء، قلْ مثل هٰذا في الأمور الأخرىٰ، فالأمور يحتاج إلىٰ ثقة بالله ﷻ وبذل للأسباب.

انظر بذل السَّبب العظيم في قول الصحابي الجليل الذي أصبح حكمة في الباب وأثرا يستن به في هٰذا المقام عند ما قال: دُلُّوني علىٰ السوق.

وعندما يذهب طالب العلم إلىٰ بلده -وهٰذه شكوىٰ يشتكي منها بعض الطلاب- ولا يتهيَّأ له وظيفة أمامك أرزاقًا وخيرات ولا تعطِّلك عن أعمالك الدَّعوية، مثل ما فعل خيار الصَّحابة وخيار الأئمّة تقرأ في سيرهم أخبارًا عجيبة وعظيمة من هٰذا الباب؛ بل أنبياء الله ورسله: منهم من كان يرعىٰ الأغنام، منهم من عمل نجّارًا، اقرأ في سيرهم، اقرأ فيما كتبه السَّلف -رحمهم الله- في هٰذا الباب.

وهٰذه المعاني كلُّها داخلة تحت قول خليل الرَّحمٰن: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ أي بالثِّقة به والتوكل عليه وحُسن الالتجاء إليه ﷻ، وببذل الأسباب التي دعا ﷻ عبادَه إلىٰ القِيام بها.

وأختم هٰذا الحديث بقصَّة لطيفة حول هٰذا الموضوع فيها أثر استيقاظ القلب بآيات الله ﷻ حين يحسن فهم القرآن وسماع كلام الرَّحمٰن.

وهي قصَّة ذكرها ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في كتابه «التَّوابين» عن الأصمعي، والأصمعي كان يرحل، وله رحلات عديدة يقول: لقيتُ رجلًا من الأعراب جِلْف علىٰ بعير فسلَّم عليَّ، رددت عليه السَّلام. فقال: ممّن الرّجل؟ فقلت: من بني الأصمع، قال: من أين أتيت؟ قلت: أتيت من بلد يُتلىٰ فيه كلام الرَّحمٰن.

قال لي: أَوَ للرَّحمن كلامٌ يتلوه الآدميون؟!

ما سمع بهذا قبل، أنَّ للرَّحمن كلامًا يُتلىٰ.

قلتُ: نعم. قال: أسمعني شيئا من كلام الرَّحمٰن.

قلتُ: انزل من بعيرك، فنزل، فتلوت عليه من سورة الذَّاريات، حتىٰ وصلتُ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قال لي: أوهٰذا كلام الرَّحمٰن،؟ قلت: نعم.

قال: امسك بعيري، فمسكته، فنحر بعيره وقال: أعنِّي علىٰ تفريق لحمه، وزَّعه علىٰ الفقراء والمحتاجين، وودَّعني وهو يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول: ثم لقيته بعد سنتين في الحرم في مكَّة، فعرفني وعرفته قال لي: قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقّا.

يقول الأصمعي: عجبتُ له كيف كان لهٰذه الآية هٰذا الوقع في نفسه، وأنا الذي تلوتُها عليه لم يكن لي مثل الذي كان له.

ثمَّ قال لي: اقرأ عليَّ من كلام الرَّحمٰن.

قال: فقرأت عليه من الذَّاريات حتىٰ بلغت قوله ﷻ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قال: سبحان الله! ومن الذي أغضب الجليل وألجأه إلىٰ اليمين.

يعني ما يحتاج أن يحلف لنا، الله يقول: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: نحن نصدِّق بدون أن يحلف لنا، فما الذي ألجأه إلىٰ اليمين؟!

علىٰ كلِّ حال فنحن في الصَّباح وبعد صلاة الفجر، فندعو بدعوة نبينا: اللَّهمَّ إنَّا نسألك علما نافعًا ورزقا طيِّبًا وعملا متقبَّلا.

وأزيدكم واحدة: من لم يتزوَّج منكم أن يَمُنَّ الله عليه بالزَّوجة الصَّالحة.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

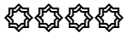

﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾

كلمة

للشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله

النسخة الإلكترونية الأولىٰ